التماثل الصوتي عند سيبويه

أ.م.د. موسى حسين الموسوي

جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

المقدمة :

أشار سيبويه في مواضع كثيرة من كتابه إلى ظاهرة التماثل وتأتي عنده بمعانٍ، منها : المضارعة[١] ، والتقريب[٢]، والمشابهة[٣]، والاتباع[٤]، والمساواة[٥].والملاحظ في كتاب سيبويه أنه عالج ظاهرة المماثلة ضمن مواضيع (الابدال ، والادغام ، والامالة ، والاعلال)، وهي ظواهر لغوية تحقق خلالها أصوات اللغة الانسجام فيما بينها بهدف التخفيف ، والاقتصاد في الجهد العضلي سواء كان هذا الانسجام حاصلا بين الصوامت والمصوّتات أم العكس . وعلى هذا ستكون دراستي لهذه الظاهرة عل وفق المنهج الذي سار عليه سيبويه في معالجته إياها .

المحور الأول : التماثل بين الصوامت :

أولا : التماثل المقبل والابدال :

الإبدال (جعل حرف مكان غيره)[٦]. ويبدل حرف صامت في التشكيل الصوتي مكان حرف صامت آخر تحت تأثير صوت ثالث يماثله في المخرج أو الصفة.

وقد ذكر سيبويه أن (الدال) تبدل من التاء في (افْتَعَل) إذا كانت بعد (الزاي). نحو : (ازْدَجَر) . وعبارته ((وأما (الدال) فتُبدل من (التاء) في (افْتَعَل) إذا كانت بعد (الزاي) في (ازْدَجَر) ونحوها)[٧]. ولم يذكر تعليلا لهذا الإبدال ، إلا أنه يفهم من قوله: إذا كانت بعد (الزاي) ، وأن المراد من هذا الابدال هو (التماثل)، أي : تقريب صوت من آخر قصد المجانسة ، فأصل : (ازْدَجَر): (ازْتجر) . فـ (الزاي) حرف مجهور، و(التاء) حرف مهموس ،فتحولت (التاء) المهموسة تحت تأثير (الزاي) المجهورة إلى حرف مجهور قريب عنه في المخرج وهو (الدال). وهو ما يعرف في الدرس الصوتي الحديث بـ (التماثل المقبل) أي تأثير الحرف السابق بالحرف اللاحق، ذلك ان المماثلة إذا حصلت بين أصوات متجاورة (متاخمة) تعرف بـ (مماثلة تجاورية) [٨] .ومثله إبدال (تاء الافتعال دالا) إذا وقعت بعد (الزاي) نحو : (مُزْدَان) والأصل: (مُزْتان)، وذلك لأن (الزاي) المجهورة ، والتاء مهموسة ، و(الدال) اقرب صوت مجهور إلى (التاء) المهموسة إذ (الدال والتاء أختان ويفرق بينهما جهر الأولى وهمس الثانية)[٩] وهما من مخرج واحد (مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا)[١٠]، فيحصل التماثل بين ال(الزاي) المجهورة و (الدال) المجهورة .

قال سيبويه : (والزاي تُبَدّلُ لها مكان التاء دالا ، وذلك قولهم: (مُزْدَانٌ) في (مُزْتان)، لأنه ليس شيءٌ أشبهُ الزاي مِنْ مَوضِعِها من الدال ، وهي مجهورة مثلها، وليست مُطْبِقَة كما أنها ليست مُطبَقة)[١١] .ومن التماثل المقبل المتجاور تأثر (تاء الإفتعال) في (مُصْتَبِر) بالصاد. فتُقلب (طاء) فيقال : (مُصْطَبِر) ، وعبارة سيبويه : (وقالوا في مُفْتَعِلٍ من صَبَرْتُ : (مُصْطَبِر)[١٢]. فالتنافر الحاصل بين (الصاد) و (التاء) مَرَدّه إختلاف صفتيهما ، فـ (الصاد) مطبقة و (التاء) ليست كذلك . وأقرب حرف إلى (التاء) عند قلبه إلى حرف مجانس لحرف (الصاد) هو (الطاء) لأنهما (أختان ويفرق بينهما ترقيق الأولى وتفخيم الثانية)[١٣] .فيحصل التماثل بين (الصاد) و (الطاء) لا تصافهما بالاطباق ، وكونهما من مخرجين متقاربين فـ (الطاء) من أصل الثنايا)[١٤] و (الصاد) من أسفله قليلا مما بين الثنايا[١٥] .

وفسر سيبويه هذا التماثل بـ (الخفة) في قوله : (أرادوا التخفيف حين تقاربا)[١٦]، وقوله : (كما أنهم إذا أدْنَوا الحرف من الحرف كان أخفَّ عليهم نحو قولهم : (أزْدانَ) و (اصْطَبَرَ) [١٧]ومنه تأثر (تاء) الفاعل بلام الفعل إذا كان صوتا مطبقا فتُقلب (التاء طاء) في بعض اللهجات القديمة لتماثل (الصاد) في صفة الإطباق (ذلك قولهم (فَحَصْطُ بِرِجْلِي) في (فَحَصْتُ بِرِجلي) ، وهي لغة لتميم[١٨] .

وفسر الدرس الصوتي الحديث هذا التغيير الصوتي بـ (قانون الأقوى) الذي ينص على أنه (حينما يؤثر صوت في آخر فان الأضعف بموقفه في المقطع أو بامتداده النطقي هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر)[١]. و (الصاد) صوت مطبق، وأن (أصوات الإطباق تمدّ نفوذها إلى ما يسبقها ويتبعها من أصوات)[٢].

---

١ ـ ينظر : الكتاب ٤/٤٧١,٤٤٨,٤٤٨,٤٤٥ .
٢ ـ ينظر : نفسه ٤ / ١٩٦ .
٣ ـ ينظر : نفسه ٤/.٤٤٧
٤ ـ ينظر : نفسه ٤ / ١٧٨ .
٥ ـ ينظر : نفسه ٤ / .١٩٦
١ ـ شرح الشافية ٣/١٩٧ .
٢ ـ الكتاب ٤ / ٢٣٩ .
٣ ـ ينظر : دراسة الصوت اللغوي ٣٢٥، والتطور اللغوي ٢٤ .
٤ ـ دراسة الصوت اللغوي :٣٢٧ .
٥ ـ الكتاب : ٤ / ٤٣٣ .
١ ـ الكتاب : ٤ / ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .
٢ ـ المصدر نفسه : ٤/٤٦٧ .
٣ ـ دراسة الصوت اللغوي : ٢٧٠ .
٤ ـ الكتاب : ٤ / ٤٦٣ .
٥ ـ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٣ .
٦ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٧ .
٧ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٣٣٥ .
٨ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧١ .

ثانيا : التماثل المدبر والإبدال :

أشار سيبويه إلى تأثير الصوت اللاحق في الصوت السابق ، وهو ما يعرف بـ (التماثل المدبر) ، وذلك نحو : (مصْدر)، (،أصْدَر) ، و(التصدير) ، وذكر ان (الصاد) تُضارع أشبه الحروف بالدال من موضعه ،وهي (الزاي) وذلك لأن (الدال) صوت مجهور[٣]. و (الصاد) صوت مهموس [٤]. ويؤثر الصوت المجهور في الصوت المهموس فيحوله إلى أقرب صوت للصاد وهو (الزاي) ، لأن (الصاد) و(الزاي) من مخرج واحد مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا[٥]، والمقابل المجهور لصوت (الصاد) هو (الزاي)[٦].

قال سيبويه : (فلما كانتا ــ يعني الدال والصاد ــ من نفس الحرف أُجريتا مُجرى المُضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب (مَدَدْتُ) فجعلوا الأول تابعا للآخر فَضَارعُوا به أشبهَ الحروف بـ (الدال) من موضعه ، وهي (الزاي) لأنها مجهورة غير مُطبقة)[٧]. ونسب إبدال (الصاد زايا) إلى العرب الفصحاء . قال : (وسَمِعْنا العربَ الفصحاء يجعلونها زايا خالصة ... وذلك قولك في التصدير : التزدير ، وفي الفصْد: الفزْد ، وفي أصْدرتُ : أزدَرتُ)[٨].

وقد شرط لهذا الإبدال سكون (الصاد) ومجيء (الدال) بعدها . قال : (فأما الذي يضارعُ به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنةُ إذا كانت بعدها (الدال)[٩]. وعلل الإبدال بتقريب الصوت من الصوت حتى يستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد، وعبارته : (إنّما دعاهُم إلى أن يقرّبوها ويبدلوها ان يكون عملهم من وجهٍ واحدٍ ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحدٍ)[١٠] ، ويُفهم من كلامه أن المتكلم في تغييره لصفة صوت (الصاد) من الهمس إلى صفة صوت يتحد معه في المخرج ، ويختلف عنه في الصفة وهو (الزاي) المجهورة لمضارعة صوت (الدال) وهو الرغبة في بذل جهد أقل ،حتى يوفر على نفسه بعض المشقة في النطق ،وهذا القانون الصوتي الذي اهتدى إليه سيبويه بفطنته يعرف في الدرس الصوتي الحديث بـ (قانون الجهد الأقل)[١١] الذي يفسر توفير المجهود الذي يبذل في نطق أصوات اللغة بحد أدنى من الجهد[١٢] .

والتماثل هنا من نوع التماثل المدبر المتجاور[١٣] . ومنه إبدال السين (زايا) نحو: (التزْدِير) و (يزْدُل) والأصل : (التَّسْدير) و (يَسْدُل) فـ (السين) حرف مهموس[١٤] ، و(الدال) حرف مجهور[١٥] فيُقلب (السين) إلى صوت مضارع (الدال) في صفة الجهر، وهو (الزاي) ، فالسين والزاي من مخرج واحد (مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا)[١٦] . قال سيبويه : (فإن كانت (سينٌ) في موضع الصاد وكانت ساكنة لم يجزْ إلا الإبدال إذا أردت التقريب ، وذلك قولك في (التَسْدير) (التزْدير) وفي : (يَسْدُل ثوبه) : (يزدُلُ ثوبَه) لأنها من موضع (الزاي) وليست بمطبقة فيبقى لها الإطباق)[١٧] . ويبدو ان هذا التغيير في صفة صوت (السين) بقلبه من الهمس إلى الجهر ليكون (زايا) ليس مطَّردا، فلعل لهجة معينة تجري على ألسنة أفرادها هذه الظاهرة ، تحفظ اللهجات الأخرى بالحرف من غير إجراء تغيير في صفته ، فالبدوي بطبيعته يميل إلى الأصوات المجهورة بـ (السين عند الحضريين وقد نطق بها زايا عند البدو)[١٨] .

وهذا ما يفسر قول سيبويه: (والبيان فيها ــ أي في السين ــ أحسْنُ ، لأن المضارعة في (الصاد) أكثرُ وأعرفُ منها في (السين))[١٩] . ومنه أيضا قلب (النون) مع الباء (ميما) ، نحو : (مَمْبك ، وشمْبا ، وعمْبَر) في : (مَنْ بِكَ ، شنباء ، عَنْبَر).وسبب الإبدال هو ميل (الباء) إلى التماثل مع صوت من مخرجه ، وهو (الميم) فهما من مخرج واحد (مما بين الشفتين مخارج الباء ،والميم ، والواو)[٢٠] وأبدلوا مكان (النون) أشبه الحروف بها وهو (الميم) لأن صوتهما واحد ، وهما مجهوران ... حتى أنك تسمع النون كالميم ، والميم كالنون . قال سيبويه : (تُقْلَبُ (النون) مع (الباء) ميما لأنها من موضع تعتلُّ فيه (النون) ... فجعلوا ما هو من موضع ما يوافقها في الصوت بمنزلة ما قرب من أقرب الحروف منها في الموضع ، ولم يجعلوا (النون باء) لبُعدها في المُخرج ، وأنها ليست فيها غُنَّةٌ ، ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بـ (النون) وهي (الميم) وذلك قولك : (مَمْبكَ) ، يريدون: (مَنْ بِكَ) و(شمْباءُ) ، (عَمْبرٌ) يريدون : (شنباءَ) ، و(عنبراً)[٢١]، فنطق (النون ميما) يكون تحت تأثير (الباء) الشفوية فنتيجة (ن+ب) هي (م+ب) وليس (ب+ب)[٢٢]. وقد يحصل التماثل المدبر بين صوتين مباعدين ، يُعرف هذا اللون من التماثل بـ (مماثلة تباعدية)[٢٣]، وذلك عند وجود صوت مجهور أو مفخم داخل بنية الكلمة ، فيؤثر

---

١ ـ الكتاب : ٤ / ٢٤٠ .
٢ ـ دراسة الصوت اللغوي : ٣١٩ .
٣ ـ ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٣٤ .
٤ ـ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٤ .
٥ ـ الكتاب : ٤ / ٤٣٣ .
٦ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٣ .
٧ ـ ينظر : مناهج البحث في اللغة : ١٢٨ .
٨ ـ الكتاب : ٤ / ٤٧٨ .
١ ـ الكتاب : ٤ / ٤٧٧ .
٢ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٨ .
٣ ـ دراسة الصوت اللغوي : ٣١٩ .
٤ ـ ينظر : التطور اللغوي : ٥٦ .
٥ ـ ينظر : دراسة الصوت اللغوي : ٣٢٥ .
٦ ـ ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٣٤ .
٧ ـ ينظر : المصدر نفسه : ٤/ ٤٣٤ .
٨ ـ المصدر نفسه : ٤/ ٤٣٣ .
٩ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٨ ـ ٤٧٩ .
١ ـ في اللهجات : ١٠٧ .
٢ ـ الكتاب : ٤ / ٤٧٩ .
٣ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٣ .
٤ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٥٣ .
٥ ـ ينظر : دراسة الصوت اللغوي : ٣٢٥ .
٦ ـ المصدر نفسه : ٣٢٥ .

في الأصوات الباقية ويكون الصوت الضعيف عرضة للتغيير ، نحو : (مصادر وصِراط) والأصل: (مسادِر ، وسِراط) ومذهب سيبويه ان (السين) الأصل ثم أُبدلت (صادا) ليضارع صوت (الدال المجهور ، والمناسبة في إبدال (السين صادا) أنهما من مخرج واحد (مما بين طرف اللسان وفُويق الثنايا)[١] وهما من الحروف المهموسة إلا أن (الصاد) من حروف الاستعلاء فتحولو عن (السين) الى أختها لأن (السين والصاد اختان ويفرق بينهما ترقيق الأولى وتفخيم الثانية)[٢]، وحصل التماثل بين (الصاد) ، و(الدال) على الرغم من كونهما بعيدين ، وما قيل عن إبدال (السين صادا) تحت تأثير(الدال) المفخمة ينطبق على (الصِّراط) وذلك (لأن الطاء كالدال) في التفخيم ، قال سيبويه :(وربما ضارعوا بها وهي بعيدة ، نحو : (مصادر) و(الصراط) لأن (الطاء والدال) ، والمضارعةُ هنا أن بعدت (الدال) بمنزلة قولهم : (صَوِيْقٌ) و (مَصَاليقٌ) فأبدلوا (السين صادا) كما أبدلوها حين لم يكن بينهما شيء في : (صُقْتُ) ونحوه)[٣].

والملاحظ ان سيبويه قد شرط في إبدال (الصاد زايا) سكون (الصاد) قال: (فأما الذي يضَارِغُ به الحرف الذي مُخرجه فـ (الصاد) الساكنة اذا كانت بعدها (الدال))[٤]. وبرر ذلك بأن الحركة حينئذ تفصل بين الحرفين. وعبارته : (فإن تحركت (الصاد) لم تُبدلْ ، لأنه قد وقع بينهما شيء فامتنع عن الإبدال اذ كان يُترك الإبدال وهي ساكنة)[٥].

إلا أنه لم يلبث أن أجازه على الرغم من تصريحه بأن الإبقاء أحسن ،حيث أجاز الإبدال مع البعد على قِلة. قال: (ولكنهم قد يضارعون بها، نحو : (صاد) (صَدَقَتْ) والبيان فيها أحسنُ)[٦]. ويُفهم من عبارته أن هذا الإبدال ليس مُطّردا وإنما هو من قبيل لغة ونصّ ونصّ على ذلك في (باب ما تُقْلب فيه السين صادا في بعض اللغات)[٧]. ونسب بعض هذه اللغة إلى بني العنبر. وعبارته : (وإنما يقولها من العرب بنو العنبر)[٨] وهم قوم من تميم، وهي قبيلة تجنح إلى الصوت المُستعلي[٩]. ومن التماثل المدبر التباعدي إبدال (السين صادا) صادا) في : (سَبَقْت) فيقال: (صَبَقْت) فـ (الباء) التي تحجز بين (السين) و(القاف) لم يمنع من الإبدال، وعبارته : (لم يُبالوا ما بين (السين والقاف) من الحواجز)[١٠]. وذلك لحصول المضارعة بين (القاف) المتصفة بالاستعلاء، فهي (من أقصى اللسان ... مُعتَمُدها على الحنك الأعلى)[١١].

وأشبه الحروف بـ (القاف) هي (الصاد) لأنها تَصَعَّدُ على الحنك الأعلى)[١٢]، وعبارته: (فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع (السين)أشبه الحروف بـ (القاف) ... وهي (الصاد))[١٣]، لأن مخرج (القاف) المتطرف من ناحية، ونطقها المصحوب بحركة ثانوية لمؤخر اللسان من ناحية أخرى يكسبانها بعض القيمة التفخيمية [١٤].

وهذه الخاصية التي يتميز بها صوت (القاف) تمكنه من التأثير في صوت (السين) المتصف بالهمس و(المهموس أخفّ من المجهور)[١٥]. وقد يقول قائل إن (السين والصاد) مهموسان فَلِمَ هذا الابدال ؟ والجواب عن هذا ان السين أكثر بساطة من الصاد، لأن الأخيرة تقتضي عملية إضافية على حركات نطق السين وهذه العملية تتمثل في حركة مؤخر اللسان إلى الأعلى وحركة جذره إلى الخلف)[١٦].

وهذه الخاصية تقربها من (القاف) وتجعلها متماثلة معها في النطق. قال سيبويه: (قالوا (صبقتُ)، فجعلوها ـ أي السين ـ صادا لمكان القاف)[١٧]. وعلل هذا التماثل تعليلا صوتيا في غاية من الدقة، بقوله: (لمّا كان يثقل عليهم ان يكونوا في حال تَسَفُّل ثم يُصَعّدُونَ السنتهم، أرادوا أن يكونوا في حال استعلاء وألّا يعملوا في الاصعاد بعد التسفل أرادوا أن تقع ألسنتهم موقعا واحدا)[١٨].

ويفسر الدرس الصوتي الحديث (تعليل سيبويه بـ (قانون الجهد الأقل)[١٩]، وجعل سيبويه (الخاء)، و (الغين)، و(الطاء) بمنزلة (القاف) في صفة التصعّد، وعلى هذا فانها تقرب (الشين) إلى أشبه الحروف بـ (الخاء، والغين، والطاء) في الصفة وهي (الصاد) لأن الأخيرة (تَصَعَّد إلى الحنك الأعلى للإطباق)[٢٠]. قال : (والخاء والغين بمنزلة القاف وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم، وقُرْبُهما من الفم كقرب (القاف) من الحلق، وكذلك نحو : (صالغ) في (سالغ) ، و(صالخ) في (سَلخ)... وقالوا : (صاطعٌ) لأنها في التصعُّدِ مثل (القاف) وهي أولى بذا من القاف لقرب المخرجين والإطباق)[٢١].

والذي يلاحظ في التماثل المقبل أن الصوت المتقدم يؤثر في الصوت الذي يليه إذا كان مجهورا أو مفخماً .

ثالثا : التماثل الكامل (الإدغام) :

---

١ ـ الكتاب : ٤ / ٤٣٣ .
٢ ـ دراسة الصوت اللغوي : ٢٧٠ .
٣ ـ الكتاب : ٤ / ٤٧٨ .
٤ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٧ .
٥ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٨ .
٦ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٨ .
٧ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٩ .
١ ـ الكتاب :٤ /٤٨٠ .
٢ ـ ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ١٣٣ .
٣ ـ الكتاب : ٤ / ٤٨٠ .
٤ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٨٠ .
٥ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٨٠ .
٦ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٨٠ .
٧ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٨٠ .
٨ ـ ينظر : دراسة الصوت اللغوي : ٣٤١ .
٩ ـ الكتاب : ٤ / ٤٥٠ .
١٠ ـ دراسة الصوت اللغوي : ٣٤٠ .
١ ـ الكتاب : ٤ / ١١٧ .
٢ ـ دراسة الصوت اللغوي : ٣١٩ .
٣ ـ الكتاب : ٤/٤٨٠ .
٤ ـ المصدر نفسه :٤ / ٤٨٠ .

أبدى سيبويه في كتابه عناية فائقة بظاهرة الإدغام، وخصها بدراسة مفصلة، فذكر أنواعها، وأهتدى إلى القوانين الصوتية الدقيقة في كيفية تعامل الأصوات اللغوية بعضها مع بعض ضمن التشكيل الصوتي لتحقيق هذه الظاهرة ونعّرج هنا بعض التعريج على ذكْره بـ (ادغام المثلين) مع التركيز على (إدغام المتقاربين) الذي يتحقق من خلالها (التكامل الكامل).

١ ـ إدغام المثلين :

ذكر سيبويه أن العرب مجتمعون على تحقيق الإدغام في الفعل اذ توالى صوتان متماثلان في عينه ولامه. قال: (أما ما كانت عينهُ ولامه من موضع واحد فإذا تحركت اللام منه وهو (فِعْلٌ) ألزموه الإدغام وأسكنوا العين فهذا مُثْلَئِبٌّ في لغة تميم وأهل الحجاز)[١]. وشرط وشرط ذلك سكون الصوت الأول وتحرك الثاني. وعبارته: فلم يكن ليكون إدغام إلا بسكون الأول، الا ترى أن الحرفين إذا تقارب موضعهما فتحركا أو تحرك الأول وتسكن الآخر لم يدغموا... وإنما السكون والتحرك في المتقاربين، فإذا لم يكن الأول ساكنا لم يصل إلى الإدغام لأنه لا يُسكن حرفان)[٢]. وذلك نحو: شَدَّ، ومَدَّ. والأصل شَدَدَ، ومَدَدَ. وعلل رغبة العرب في ادغام المتماثلين بالميل إلى الخفة، وعامل توفير الجهد، لأنه يثقل على اللسان نطق صوتين متماثلين في موضع واحد. قال: (وذلك لأنه يثقل عليهم ان يستعملوا ألسنتهم في موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعبا عليهم أن يدركوا في موضع واحد ولا تكون مهملة كرهوا وأدغموا لتكون رفعة واحدة وكان أخف على السنتهم)[٣]. ويعرف هذا التغيير الصوتي في البحث الصوتي الحديث الذي يحقق توفير الجهد في النطق بـ (قانون الجهد الأقل)[٤].

٢ ـ إدغام المتقاربين :

وهو ما يعرف بـ (التماثل الصوتي التام) أو (المتماثلة الكاملة) عندما يغني أحد الصوتين المتجاورين في الآخر لتحقيق من التجانس وذلك بتأثير أحد الصوتين في الآخر، وتقريبه من خصائصه، وإدغامه منه بحيث ينطق بالصوتين صوتا واحدا فاذا اثر الصوت الأول في الثاني حصل التماثل المدبر في الإدغام. وقد يتحقق التماثل المدبر في الادغام بتأثير الصوت الثاني في الأول[٥].

وذكر سيبويه ملاحظات صوتية بالغة الأهمية في كيفية تحقيق (إدغام المتقاربين) إنطلاقا من نظريته الدقيقة تلك فطن إلى أنّ شرط حصول التماثل الكامل الإدغام : المقاربة في المخرج[٦]. والمضارعة في الصفة[٧]، و(أصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف)[٨]،وليست حروف الحلق بأصل للإدغام[٩].

وميز الحروف التي يجوز ادغامها من التي لا يجوز لها ذلك[١٠].

وتابع سلوك تعامل الصوتين المتقاربين في اثناء التأليف الصوتي لتحقيق التماثل الكامل (الادغام) ونقف في كتابه على نوعية: (المقبل) و (المدبر).

التماثل المقبل :

من الأمثلة التي ذكرها سيبويه لهذا النوع من التماثل الكامل: مُثَّرد، مُصَّبر، واضَّجر، مُسَّمع، مُضَّجع، وعُدَّه، والأصل مُثْتَرد، مُصْطَبِر، مُسْتَمِع، مُضْطَجع، وعُدْتُه. ففي : مُثْتَرد، التقى الصوتان (ث + ت)، وهما اختان من مخرجين متقاربين، فمخرج (الثاء) (مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا)[١١]، ومخرج (التاء) (مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا)[١٢]، فهما من حيز واحد، وليس بينهما إلا ما بين طرف اللسان وأصولها[١٣]، فاثر الصوت الأول في الصوت الثاني ليماثله في المخرج فتحول الصوتان المختلفتان الى صوت واحد (ث + ث) فأدغما لينطقا صوتا واحدا. وعبارة سيبويه: (اذا كانت هذه الحروف المتقاربة في حرف واحد لم يكن الحرفان منفصلين ازداد ثقلا واعتلالا، كما كان المثلان إذ لم يكونا منفصلين أثقل، لأن الحرف لا يفارقه ما يستثقلون فما ذلك قولهم في: مُثَّرِدٌ لأنهما متقاربان مهموسان)[١٤].

وقد يكون التماثل في: (مُثترد) رجعيا، عندما يؤثر الصوت الثاني في الصوت الأول فيتحول الصوتان (ث + ت) الى صوت واحد (ت + ت) فيقال: (مُتّرد) وهو القياس، وعبارة سيبويه: (القياس مُترد)[١٥]. وعلل ذلك بان (أصل الإدغام ان يدغم الأول في الأخِر)[١٦]. وفي (مُصْطَبِر) يؤثر (الصاد) في (الطاء) لأنهما من مخرجين متقاربين (من الثنايا وطرف اللسان)[١٧]. إلا أن (الطاء) من أصل الثنايا و (الصاد) من اسفلها قليلا مما بين الثنايا[١٨].والذي يسوغ التماثل بينهما قرب المخرجين فيفنى (الطاء) في (الصاد) ويتحد الصوتان وينطق

---

١ ـ الكتاب : ٤ / ٤١٧ .
٢ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٣٦٧ .
٣ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤١٧ ، وينظر : ٤ / ١٢٩ .
٤ ـ دراسة الصوت اللغوي : ٣١٩ .
٥ ـ ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية : ٢٠٨ .
١ ـ ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٤٥، ٤٤٦ .
٢ ـ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٣ .
٣ ـ المصد نفسه : ٤ / ٤٤٨، ٤٥٤ .
٤ ـ المصدر نفسه : ٤٥١ .
٥ ـ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٧ وما بعدها و ٤٤٥/٤ .
٦ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٣ .
٧ ـ ينظر: المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٤ .
٨ ـ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٧ .
٩ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٧ .
١ ـ الكتاب : ٤ / ٤٦٧ .
٢ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٧ .
٣ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٣ .
٤ ـ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٣ .

بالإدغام صوتا واحدا فيقال (مُصَّبر) قال: (واراد بعضهم الإدغام حيث اجتمعت الصاد والطاء فلما امتنعت (الصاد) أن تدخل في (الطاء) قلبوا (الطاء صادا) فقالوا (مصبر))[١]، وما قيل عن (مُصّبِر) يقال عن (إضّجر، و مُضِّجع) وعبارته: (وقالوا في إضْطَجَر: إضَّجر كقولهم: مصِّبر)[٢].وقال عن (مضّجع): (والضادُ في ذلك بمنزلة الصاد... وذلك قولك: مُضطَجع، وإنْ شئت قلت: مُضّجعٌ)[٣]. فقرب (الضاد) من (الطاء) سوّغ التماثل الكامل بينهما، وقد وصف سيبويه هذا القرب بدقة متناهية في قوله: (لأنها ــ أي الصاد ــ اتصلت بمخرج اللام وطأطأت عن اللام حتى خالطت اصول ما اللام فوقه من الأسنان ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها، لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين وهي مع ذا مُطبقة، فلما قاربت الطاء فيما ذكرت لك ادغامها فيها)[٤]. غير انه لم يستبعد حصول التماثل المدبر الكامل في (مضطجع) بفناء الصوت الأول في الثاني، قال: (وقد قال بعضهم: مطَّجع)[٥]. وعلل ذلك بقوة (الطاء) في السمع وعبارته: (حيث كانت ــ الطاء ــ مُطبقَةً ولم تكن في السمع كالصادِ وقَرُبَتْ منها وصارت في كلمة واحدة)[٦].والذي ارى في حصول التماثل المدبر المدبر الكامل في (مطَّجع) ان (الطاء) تجمع بين صفتي (الشدة والجهر)[٧]، فهي حرفٌ مُشربٌ ضغط من موضعه فإذا وقفت خرج معه من الفم صُوُيْت، وهذا الوصف جعله من حروف القلقلة[٨]، و (القلقلة مبالغة في الجهر)[٩].

في حين ان (الضاد) صوت مجهور، مطبق غير أنه رخو(١٠).فالطاء : مجهور + شديد + مطبق والضاد : مجهور + رخو + مطبق ثم ان حرف (الضاد) ليس من مخرجه حرف مجهور غير مطبق حتى يصير إليه اذا فقد الإطباق كما يقع: للطاء والظاء والصاد. قال: (لولا الأطباق لصارت الطاءُ دالا والصادُ سينا والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيءٌ من موضِعها غيرها)[١١]و (الطاء) من (الضاد) وهذا ما يفسر عبارة سيبويه: (حيث كانت (الطاء) مطبقة ولم تكن بهذا الوصف أقوى في السمع كالضاد، وقَرَبت منها وصارت في كلمة واحدة فلما اجتمعت هذه الأشياء وكان وقوعها معا في الكلمة الواحدة أكثر من وقوعها في الانفصال، واعتقدوا ذلك وأدغموها)[١٢]. والأصل في التماثل الكامل (الإدغام) أن يكون مدبرا وعبارته: (لأن الأصل في الإدغام أن يتبع الأول الآخر)[١٣]، و (السين والتاء) من مخرجين متقاربين (من الثنايا وطرف اللسان)[١٤]، لأن (التاء) من الثنايا، و (السين) من أسفلها قليلا مما بين الثنايا فيصهر (التاء) في (السين) في: (مُستَمع) فيقال: (مُسَّمِع)، ثم إنهما مهموسان وعبارة سيبويه (وكذلك السين لم تجد حرفا أقرب الى التاء في المخرج والهمس)[١٥]. غير ان (التاء) حرف مهموس شديد والسين مهموس رخو[١٦]. وفي (عُدْتُه)يقال بالتماثل المقبل الكامل (عُدُّهُ) قال: (وقال بعضُهم: عُدُّهُ، يريد: عُدْتُه)[١٧] .وفسر حصول التماثل الكامل باتحاد المخرج حيث يخرجان (مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا)[١٨]، وبصفة الشدة التي تجتمع بينهما إلا إنهما يختلفان في الجهر والهمس، فـ (التاء) مهموسة والدال مجهورة. قال: (والتاءُ والدالُ سواءٌ كلُّ واحدة منهما تُدغم في صاحبتها حتى تصير التاء دالا والدال تاء لأنهما من موضع واحد، وهما شديدتان ليس بينهما شيءٌ إلا الجهــــــــــــــــــــــــــــر والهمـــس)[١٩].

التماثل المدبر :

التماثل المدبر: وصفه سيبويه أنه الأصل في الإدغام، وذكر له أمثلة كثيرة ، منها ما يكون التماثل المدبر حاصلا بين صوتين متقاربين ضمن الكلمة الواحدة، ومنها ما يكون بين صوتين متقاربين غير انهما في كلمتين منفصلتين، فمن الأول: (يطّوعون) و (مطّلم) و (اطّعنوا) و (مُزَّمان) و (مُسّاعه)، والأصل: (يتطوّعَون) و (مُظْطَلم) و (مُزمان) و (مُذْ ساعة). فالتاء والطاء من موضع واحد يخرجان (مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا)[٢٠]وهما أختان و (يفرق بينهما ترقيق الأولى وتفخيم الثانية)[٢١] و(الطاء) مجهورة و (التاء) مهموسة[٢٢]. فإذا التقيا في كلمة واحدة أثر الطاء في التاء ليضارعه في صفة الجهر والإطباق، فيصير التاء مع الطاء[٢٣]، فيقال: (يطّوعون) في (يَتَطوعون) وعبارته: (ومما يُدغم اذا كان الحرفان من مُخرجٍ واحدٍ، و اذا تقارب المخرجان قولهم: يَطَّوّعون في

٥ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٨ .
٦ ــ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٠ .
٧ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٠ .
٨ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٥ .
٩ ــ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٠ .
١ ــ ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٧٠ .
٢ ــ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٤ .
٣ ــ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ١٧٤ .
٤ ــ الأصوات اللغوية : ١٧٩ .
٥ ــ ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٣٠، ٤٣٦ .
٦ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٦ .
٧ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٠ .
٨ ــ المصدر نفسه :٤ / ٤٦٩ .
٩ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٣ .
١ ــ الكتاب : ٤ / ٤٨٤ .
٢ ــ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٤ ــ ٤٣٥ .
٣ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٢ .
٤ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٣ .
٥ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٦١ .
٦ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٣ .
٧ ــ دراسة الصوت اللغوي : ٢٧٠ .
٨ ــ ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٣٤ ، ٤٦٠ .
٩ ــ ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٦١ .

يتَطوّعون)[1] . وقال أيضا : (واذا كانت (الطاء) معها، يعنى مع (التاء) فهو أجدر أن تقلب (التاء طاء) ولا تدغم (الطاء) في (التاء) فيُخلّ فيُخلّ بالحرف، لأنهما في الانفصال اثقل من جميع ما ذكرناه، ولم يدغموها في (التاء) لأنهم لم يريدوا إلا أن يبقى الإطباق، إذ كان يذهب في الإنفصال، وكرهوا ان يلزموه ذلك في حرف ليس من حروف الاطباق وذلك قولك: إطّعنوا)[2]. ويلاحظ من عبارة سيبويه أن صفة الإطباق في (الطاء) تمنحُها قوة التأثير في (التاء) غير المطبق وعبارته: (الطاء وهي مطبقة لا تُجعل مع التاء تاءً خالصة لأنها افضل منها بالاطباق)[3]، ثم انه يرى أن (المطبق أفشى في السمع)[4]، وهو بهذا القانون الصوتي الدقيق قد سبق المحدثين في الاهتداء الى قانون قانون الأقوى [5]. ويشيع هذا القانون بشكل عام في التماثل المدبر (إلا في حالة ما اذا كان الأول الأقوى، مجهورا، مفخما فإنه يجوز أن يكون من التأثير التقدمي)[6]. وهذا القانون نفسه ينطبق على (مطّلم) والأصل (مُظْتلم) فالطاء صوت مجهور مطبق، وقد اثر في (التاء) لتجانسه في صفة الاطباق فتحولت (مظْتلم) الى (مُظْطلم) و (الظاء) و (الطاء) من حيز واحد وليس بينهما إلا ما بين طرف الثنايا واصولها[7]. وهما مشتركان في صفتي الجهر والاطباق بيد أنهما مختلفان في الشدة والرخاوة، فـ (الطاء) تتصف بالشدة، و (الظاء) بالرخاوة، وعلى هذا فان (الطاء) أقوى في السمع من (الظاء) لأن الصوت الشديد (يمنع الصوت ان يجري فيه)[8]، والرخو: (اجريت فيه الصوت)[9]فيطغى صوت (الطاء) المتصف بالجهر والشدة والاطباق على صوت (الظاء) ليماثله في صفاته جميعا، ويدغمان في صوت واحد وجعل التماثل المدبر في هذا الموضع قياسا. قال: (أقيسهما: (مُطَّعِنٌ) و (مُطَّلِمُ)، لأن الأصل في الادغام ان يتبع الأول الآخر)[10]. ويقال في: (مذْ زمان ــ مُزَّ مان) و (مُذْ ساعة ــ مُسّاعة) وعبارته: (وسمعناهم يقولون: مُزَّمانٌ فيدغمون الذال في الزاي، ومُسّاعةٌ يدغمونها في السين)[11] والذي سوّغ التماثل المدبر الكامل (الادغام) في هذين الموضوعين، قرب المخرج، والمضارعة في الصفة. فـ (الزاي والسين) تخرجان (مما بين طرفي اللسان وفويق الثنايا)[12]، وتخرج (الذال) (مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا)[13]، وهن يشتركن في صفة الرخاوة بيد ان (الزاي) و (الذال) مجهورتان و (السين) مهموسة[14]. ومما يبرر فناء صوت (الذال) في (الزاي) و(السين) شدة رخاوة (الذال)[15]. وكون (الزاي) و (السين) من حروف الصفير التي وصفها سيبويه، بقوله: (هُنّ أندى في السمع)[16]أي ارفع وأعلى، وهذه الحقيقة تسوّغ غلبة (السين) المهموسة على (الذال) المجهورة في (مُسّاعة) لأنه لا يوجد في اللغة العربية اتجاه نحو المهموس على عكس كثير من اللغات ان لم تكن الغاية المحافظة على الوضوح السمعي [17]. ومن التماثل الكامل الذي لا يكون إلا مدبرا، فناء أحد الصوتين المتقاربين في الآخر عندما يكونان في كلمتين منفصلتين وذلك نحو: (مِمّثْلُكَ) في (مَنْ مثْلُكَ) وعبارة سيبويه: (كما أنك تقول: مَمّثْلُك، فتجعل النون ميما)[18]. وعلل حصول المماثلة الكاملة بين النون والميم بوجود الشبه بينهما قال: (لأن النون لها شبهٌ بالميم)[19].وموضع الشبه أنها تخرجان من الخياشيم وعبارته: (إلا أنهما أشبهوا لخروجهما في الخياشيم)[20]. الى جانب اشتراكهما في صفة الجهر قال: (وتُدغم النون مع الميم لأن صوتهما واحد، وهما مجهوران، وقد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتى انك تسمعُ النون كالميم، والميم كالنون)[21]ويفهم من كلامه أنه لا مفاضلة بين (الميم) و (النون) فكلاهما صوت أنفي مجهور وإن اختلف مخرجهما. غير أن الذي سوّغ فناء (النون) في (الميم) وقوع الصوتين في كلمتين منفصلتين حيث لا يكون التماثل إلا رجعيا، وتظهر لنا هذه الحقيقة بوضوح في إدغام (الباء) في (الميم)، نحو :(أصْحَبْ مَطرا) فيقال: (أصْحَمَّطرا) وعبارته: (اما الادغام في الميم نحو قولهم : إصْحَمْطراً، تريد: إصْحَبْ مطراً مُدغم)[22]، وعلى هذا (لا مجال لافتراض السهولة والصعوبة في العلاقة بينهما)[23]، ومن التماثل الكامل (الإدغام) الذي يكون الا مدبرا، إدغام لام المعرفة في ثلاثة عشر حرفا وهي: (النون، والراء، والدال، والتاء، والصاد، والطاء، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والضاد، والشين)[24].وقد أشار سيبويه الى ذلك بوضوح في قوله: (ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفا لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام)[25]، ومثّل لذلك بـ (النعمان ، والرجل)[26]. وتخلص مما سبق قوله الى

---

١ ــ الكتاب : ٤ / ٤٧٤ .
٢ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٠ .
٣ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٤٨ .
٤ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٢٦٠ .
٥ ــ ينظر : دراسة الصوت اللغوي : ٣١٩ .
٦ ــ المصدر نفسه: ٣٣٣ .
٧ ــ ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٣٣ ، ٤٦٤ .
٨ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٤ .
٩ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٤ .
١ ــ الكتاب : ٤ / ٤٦٩ .
٢ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٤ .
٣ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٣ .
٤ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٣ .
٥ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٤ .
٦ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٢ .
٧ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٦٤ .
٨ ــ دراسة الصوت اللغوي : ٣٤٢ ــ ٣٤٣ .
٩ ــ الكتاب : ٤ / ١٠٩ .
١٠ ــ المصدر نفسه : ٤ / ١٠٩ .
١ ــ الكتاب : ٤ / ٤٠٣، وينظر : في قريب منه: ٤ / ٤٦١ .
٢ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٥٢ .
٣ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٧٧ .
٤ ــ دراسة الصوت اللغوي: ٣٤٢ .
٥ ــ الكتاب : ٤ / ٤٥٧ .
٦ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٥٧ .
٧ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٤٥٧ .

ان التماثل الكامل (الإدغام) هو فناء الصوت في آخر بأن يكتسب احد الصوتين صفة الصوت الآخر ويقربه من صفته ومخرجه ليتحدا في صوت واحد، وقد يكون التماثل مقبلا او مدبرا بيد أن الأصل ان يكون مدبرا فتتوضح هذه الحالة جلية في تماثل صوتين متقاربين في كلمتين منفصلتين. اذا كانت الرغبة في الجنوح نحو السهولة عاملا أساسيا في إقامة التماثل الكامل بين صوتين في كلمة واحدة، فان هذا الأمر يكاد يختفي في التماثل الحاصل بين صوتين كلمتين منفصلتين.

المحور الثاني : التماثل بين المصوتات

أولا: التماثل الصوتي والإعلال :

بينتُ فيما سبق العلاقة القائمة بين ظاهرة التماثل والإبدال بين الأصوات الصامتة، وأحاول هنا أن أقف على الأثر الذي تتركه الظاهرة نفسها في تقريب الأصوات المصوّتة بعضها من بعض، لأن (الإعلال) تغيير يصيب الحروف المصوّتة كما يراه سيبويه[١]. ومَردُّ هذا التغيير الصوتي الذي يطرأ على بنية الكلمة في اثناء تعامل الأصوات المصوّتة، حصول نوع من الانسجام بينها، ويتحكم في مسألة الإنسجام، الذي هو التماثل الصوتي، نزوع اللسان نحو الخفة حين النطق بالأصوات المصوتة، لأن (رفع اللسان من موضع واحد اخفُّ عليهم)[٢].واستند سيبويه في معالجة التماثل بين الأصوات المصوتة الى جملة من الأحكام التي توصل إليها من خلال الملاحظة الدقيقة لمنهج التشكيل الصوتي، إذ وجد ان بنية الكلمة لا تخلو من المصوتات الطويلة(الألف والياء والواو) او من بعضهن (الفتحة والكسرة والضمة) وعبارته: (فإنهن يكثرْنَ في كل موضع، ولا يخلوا منهن حرفٌ او من بعضهنّ)[٣]. واهتدى في منهجه المعتمد على المستعمل فعلا من كلام العرب، وأنهم يفاضلون بين الأصوات المصوتة فـ (الفتح أخف عليهم من الضم والكسر، كما أن الألف اخفّ من الواو والياء)[٤]. واذا وجد اللسان صعوبة في الانتقال من حركة ثقيلة الى أخرى خفيفة، مال الى قلب الثقيلة الى حركة تماثل خفيفة، وتبين لسيبويه أنّ ظاهرة المماثلة بين الأصوات المصوتة (الاعلال) لا تختلف عن ظاهرة المماثلة بين الأصوات الصامتة (الإبدال) وعبارته: (وكما أنهم اذا أوتوا الحرف من الحرف كان أخفَّ عليهم نحو: قولهم: ازدانَ، واصطبرَ، فهذه قصة الواو والياء)[٥]، ومن منطلق تحقيق الانسجام بين الأصوات المصوتة قصد الميل نحو الخفة عالج سيبويه ظاهرة (الإعلال).فقد ذكر أن الواو تقلب ياء مماثلة للياء التي قبلها وكذلك نحو: يَوْجِل، فيقال: يَيْجَل، وسبب المماثلة صعوبة الانتقال من (الياء) الخفيفة الى (الواو) الثقيلة قال: (و اذا قلت يَفعَلُ فبعض العرب يقولون يَيْجَلُ وذلك قولك: (حَالتْ حيالاً)، و(قمتُ قياماً)، وانما قلبوها حيث كانت معتلة في الفعل، فأرادوا ان تعتل اذا كانت قبلها كسرة وبعدها حرف يشبه (الياء) فلما كان ذلك فيها مع الاعتلال لم يقرّوها... ومثل ذلك (سوط وسياط) و (ثوب وثياب) و (روضة ورياض))[٦]. ويرى ان الرغبة في انتقال النطق من الحركة الخفيفة الى حركة تماثلها هي السبب في الاعلال. وعبارته: (وكان العمل من من وجه واحد أخفّ عليهم)[٧]. ومنه: (مِيزان)، و(مِيقات)، و(مِيعاد) والأصل: (مِوْزان) و(مِوْقات) و(مِوْعاد) و (انما أبدلوا (الياء) لاستثقالهم هذه (الواو) بعد الكسرة)[٨]. أي: مِـوزَن مِـزَن أسقطت (الواو ياء) لكراهة العربية الانتقال من (الكسر) الى (الضم) وعوضت مكانها كسرة قصيرة يضاف اليها الكسرة القصيرة ~~السابقة~~ فتصبح كسرة طويلة بعد (الميم) كتبت (ياء)[٩].ويرى الدكتور داود عبده أن ((الواو) تقلب (ياء) حين ترد قبل صحيح ساكنة مسبوقة بكسرة، وذلك مماثلة للكسرة)[١٠].ومثله: (غزى) والأصل: (غزو) فـ (هذه (الواو) لا تقعُ قبلها ابدا كسرة إلا قلبت (ياء))[١١].

ومثل ذلك: (سَيِّد) و(صَيِّب)، واصلهما: (سَيْوِد) و(صَيْوِب). وعبارته: (فلما كانت (الواو) ليس بينها وبين (الياء) حاجزٌ بعد (الياء) ولا قبلها كان العمل من وجه واحد، ورفعُ اللسان من موضع واحد أخفَّ عليهم وكانت (الياء) غالبة في القلب لا (الواو) لأنها أخفُّ عليهم لِشُبهها بـ (الألف) وذلك قولك في (فَيْعِلٍ): (سيِّدٌ) و(صَيِّبٌ) وإنما أصلهما: (سَيْوِدٌ) و(صَيْوِبٌ)[١٢].

ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين، ان تتابع صورتين مزدوجتين في (سَيْوِد) يشبه تتابع الكسرة والضمة (حيث تقع فيه (الواو) إثرَ (الياء)، ونظرا لصعوبة هذا التركيب وكراهة اللغة له فانها مالت الى إحداث الانسجام في هذا المثال وأشباهه بتغليب عنصر الكسرة على عنصر الضمة، وهنا يمكن أن يقال: (أن (الواو) قُلبت (ياء) فعلا)[١٣]. وقد تقلب (الواو ياء) مماثلة للكسرة التي قبلها، نحو: (حِيال)، و(قِيام) و(سياط) و(ثياب) و(رياض) ، و\الأصل (حِوال) و(قِوام) و(سِواط) ،(ثِواب) و(رِواض) وذلك لأن الواو تستثقل بعد الكسرة ومن التماثل الصوتي قلب (الياء واوا) في (مُيْقِن) و(مُيْسِر)، و(مُيئس) مماثلة للضمة التي قبلها فيقال: (مُوْقن) و(مُوْسِر) و(مُوْئِس). وعبارة سيبويه: (فان أسكنتها وقبلها ضمة قلبتها واوا كما قلبت الواو ياء في (مِيزان) وذلك نحو (مُوقِنٍ) و(مُوسِرٍ) و(مُوئسٍ))[١٤].

وتقلب (الواو والياء) ألفا اذا تحركتا وانفتح ما قبلهما مماثلة للفتحة وذلك نحو: (قام)، و(باع) و(خاف) والأصل: (قَوَمَ)، و(بَيَع) و(خَوِفَ). وعبارة سيبويه: (واذا كانت الياء والواو قبلها فتحة اعتلت وقُلبت ألفا كما اعتلت قبلها الضمُّ والكسر)[١٥].

---

١ ـ ينظر : الكتاب : ٤ / ٤٣٦ ، ٣٦٥ .
٢ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٣٦٥ .
٣ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٣١٨ .
٤ ـ المصدر نفسه : ٤ / ١١٥ ، ١٦٧ .
١ ـ الكتاب : ٤ / ٣٣٥ .
٢ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٣٦ .
٣ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٣٦ .
٤ ـ المصدر نفسه : ٣ / ٤٥٨ .
٥ ـ ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٨٩ .
٦ ـ دراسات في علم أصوات العربية : ١٩ .
٧ ـ الكتاب : ٤ / ٣٨٦ .
١ ـ الكتاب :٤/ ٣٦٥ .
٢ ـ المنهج الصوتي للبنية العربية : ١٩٠ .
٣ ـ الكتاب : ٤ / ٣٣٨ .
٤ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٣٨٣ .

يتضح في ما سبق عرضه ان (الاعلال بالقلب) يهدف الى تحقيق الانسجام الصوتي بين المصوتات عن طريق المماثلة، ليتجنب اللسان من النطق بالمصوتات غير المتماثلة التي تشكل ثقلا على اللسان، وان الغالب على هذا النوع من التماثل هو التماثل المقبل، فالمصوت اللاحق يخضع للتغيير الصوتي مجانسة للمصوت السابق.

ثانيا : التماثل الصوتي والامالة :

الإمالة، ظاهرة لغوية تميزت بها بعض اللهجات العربية، وتهدف الى خلق ضرب من المماثلة بين المصوتات، والتماس الخفة في النطق، وقد درسها سيبويه ضمن منهجه الوصفي الذي اتسع ليغطي معظم الظواهر اللغوية، وهي لا تظهر إلا في السماع ولذلك لا تنتمي الى لغة الكتابة، والعناية بالسماع ضرب من الوصف.

وعلى الرغم من أن سيبويه لم يعرّف الإمالة في الاصطلاح، غير اني أفهم من الإشارة الى صيغتي: (قرُبَ)، و(نَحا) ان غاية الإمالة الجنوح الى الانسجام بتقريب صوت مصوّت من آخر فقد قال عن: (عابِد)، و(عالِم)، و(مساجد)، و(مفاتيح) (وإنما أمالوها ــ أي الألف ــ للكسرة التي بعدها، وأرادوا أن يقربوها منها)[١]، ثم قال: (فالألف تُشبه الياء، فأرادوا أن يقربوها منها)[٢]. وقوله: (والياء أخف عليهم عليهم من الواو فنحوا نحوها)[٣]. وقوله: (ومما يُميلون ألفه كل شيءٍ كان بنات (الياء) و (الواو) مما هما فيه عينٌ، اذا كان أول فعلتُ مكسورا نَحَوْا نحوَ الكسرة كما نَحَوْا الياء فيما كانت ألفه في موضعِ الياء)[٤]. وقد افاد علماء اللغة من بعد سيبويه من اشارته الجليلة الى صيغتي (قَرُبَ)، و(نحا) في تعريف الإمالة.

يقول ابو شامة (ت ٦٦٥هـ): (فالإمالة الشديدة ان تقرِّبَ الفتحة من الكسرة والألف من الياء من غير قلب خالِص ولا إشباع مبالغ فيه)[٥]. وجاء في الهمع (قاربوا بين الألف والياء بان نَحَوْا بالألف نحو الياء ولا يمكن ان ينحى بها نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة)[٦].

والحق ان سيبويه عندما اشار الى إمالة الألف من أجل الكسرة، وذلك نحو: (عبابِد)، و(مساجد)، او الى إمالة الألف من أجل الياء نحو (معايِش)لاحظ ان الفرق بين الفتحة والألف والكسرة والياء لا يعدوا ان يكون فرقا في الكمية، فالألف هي فتحة طويلة، والياء هي كسرة طويلة، وعبارته: (لأن الفتحة من الألف وشبه الفتحة بالكسرة وشبه الالف بالياء)[٧].

فهو يرى أن الحركات القصار بعض من الحركات الطوال (فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء والضمة من الواو)[٨]. لذلك فان الفتحة الواقعة قبل الألف تماثل من أجل الألف (واعلم أن الألف اذا دَخَلتْها الإمالة دَخَل الإمالة ما قبلها)[٩]. وهو بهذا قد سبق البحث الصوتي الحديث في الاهتداء الى ان الفرق بين المصوتات القصيرة والمصوتات الطويلة لا يعدو ان يكون فرقا في الكمية، فالألف عند المحدثين فتحة طويلة، وكذلك كل من الياء والواو كسرة وضمة طويلتان[١٠]. فالمدة التي يستغرق النطق بالمصوتات الطويلة هي ضعف مدة المصوتات القصيرة[١١].

و اذا نظرنا الى العلاقة بين المماثلة والإمالة في كتاب سيبويه وجدناها على ضربين:

احدهما: التماثل المقبل: ويظهر ذلك في الكلمات التي وقعت فيها الإمالة مماثلة لكسرة او ياء قبل الألف[١٢]. وذلك نحو: (سِربال)، و(شِمْلال)، و(عِماد) و(كِلاب)[١٣].

ونحو: (سَيّال)، و(ضياح)، و(كيّال)و(بيَّاع)، و(عَيْلان)، و(غيْلان)[١٤]. فالألف في الأمثلة المتقدمة أثر في إمالتها في الصوت الواقع قبلها والآخر.

التماثل المدبر : والإمالة هنا راجعة إلى التجانس الصوتي بين الألف والصوت الواقع بعدها. وتظهر ذلك في الأمثلة الآتية: (عابد)، و(عالم)، و(مساجد)، و(مفاتيح)[١٥]. ومررتُ ببابك، ومررتُ بمال كثير[١٦].

ومِن حمارك، ومن عواره[١٧]. وقارب، وغارم، وطارد[١٨].

---

١ ــ الكتاب : ٤ / ١١٧ .
٢ ــ المصدر نفسه : ٤ / ١١٧ .
٣ ــ المصدر نفسه : ٤ / ١١٩ .
٤ ــ المصدر نفسه : ٤ / ١٢٠ .
٥ ــ إبراز المعاني من حرز الأماني : ١٥٢ .
٦ ــ همع الهوامع : ٢ / ٢٠٠ .
١ ــ الكتاب : ٤ / ١٤٢ .
٢ ــ المصدر نفسه : ٤ / ٢٤٢ .
٣ ــ المصدر نفسه : ٤ / ١٢٦ .
٤ ــ ينظر : اللهجات العربية : ٤٢ .
٥ ــ ينظر : الأصوات اللغوية : ٨١ .
٦ ــ ينظر : الكتاب : ٤ / ١١٧،١٢١،١٢٢ .
٧ ــ المصدر نفسه: ٤ / ١١٧ .
٨ ــ المصدر نفسه : ٤ / ١٢٢ .
٩ ــ المصدر نفسه : ٤ / ١١٧ .
١٠ ــ المصدر نفسه : ٤ / ١٢٢ .
١ ــ الكتاب : ٤ /١٣٦ .
٢ ــ المصدر نفسه : ٤ / ١٢٨ .

ولاحظ سيبويه ان حروف الاستعلاء تمنع الإمالة وعبارته: (فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة: (الصاد)، و(الطاء)، و(الظاء)، و(الغين)، و(والقاف)، و(الخاء). وضرب لذلك أمثلة نحو: (قاعِدٌ)، و(غائِبٌ)، و(خامِدٌ)، و(صاعِدٌ)، و(طائِفٌ)، و(ضامِنٌ)، و(ظالِمٌ))[1]. وعلل ذلك بقوله: (وإنما مَنَعَتْ هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف اذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ونحوها، فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلى، وقرُبت من الألف كان العمل من وجه واحد أخفَّ عليهم[2]، فالمانع من الإمالة اذن هو الشبه في الاستعلاء بين الألف الممالة وحروف الاستعلاء مما يسبب ثقلا على اللسان بيد أنه أجاز ذلك مع الراء لأنها كما يقول (تشبه الياء))[3].

وبهذه الخاصة انفردت الراء بالإمالة مع حروف الاستعلاء.

ثالثا :<u>التماثل الصوتي والإتباع</u> :

يعدّ (الاتباع) ضربا من الإنسجام الصوتي بين المصوتات، وبعض حالاته (ظواهر لهجية تقع في لهجة هذه القبيلة أو تلك لأسباب صوتية ونطقية معينة[4]، حيث اتبعوا الحركة تحقيقا للمماثلة[5]، ويلحظ بشكل عام ان لهجات البدو أميل إلى هذا الانسجام من لهجات الحضر التي تحقق فيها الأصوات نتيجة التأني والتؤدة في النطق[6]. وقد يكون الاتباع ضمن كلمة واحدة، نحو: (مِغِيْرة)، والأصل: (مَغِيرة) أتبع المصوت الأول المصوت الثاني (الكسرة) أو ضمن كلمتين متجاورتين نحو (الحمدُ للهِ)، والأصل: الحمدُ للهُ، حيث اتبع المصوت الثاني (حركة اللام) للصوت الأول (حركة الدال) وأشار سيبويه إلى ظاهرة الاتباع[7]. وما تحققه من التجانس الصوتي لتجنب اللسان من المشقة في النطق، تأتي هذه الظاهرة عنده على نوعين :

<u>أحدهما</u> : الاتباع المقبل: وفيه يؤثر المصوت المتقدم في المصوت المتأخر تحقيقا للتجانس الصوتي بينهما، وذلك نحو (بِهم)، و(بدارِهِم)، والأصل: (بِهُم)، و(بِدارِهُم)، قال: (اتبعوا الكَسْرَ الكسْرَ، نحو قولهم: بِهِم، وبدارِهِم وما أشبه هذا)[8]. ومنه كسر الهاء في : (بِهِي)، و(لَدْيِهي)، تباعا للكسرة أو للياء قبلها، والأصل: (بِهُو)، و(لديهُو)، قال: (فالهاءُ تُكسَرُ إذا كان قبلها ياء أو كسرة، لأنها خفيفة كما أن الياء خفيةُ... وذلك قولك: مررتُ بِهِي قبلُ، ولدَيْهِي مالٌ، ومررتُ بِدارهي قبلُ)[9].

<u>والآخر</u> : المدبر: وفيه يتبع المصوّت الأول المصوّت الثاني لضرب تماثله في النطق، وذلك نحو: (مِغِيرة)، و(مِعِين) ونحوهما: قال: (وأما الذين قالوا: مِغِيرةٌ ومِعِينٌ، فليس على هذا ولكنهم أتبعوا الكسرة الكسرة، كما قالوا: مفتِنٌ، و(أُنْبُوُكَ)، و(أَجُوُكَ) يريد: (أجِيئوك)، و(أُنبِئُكَ))[10]. ومنه أيضا إتباع كسرة الألف الموصولة في الابتداء ضمة الحرف الثالث نحو: (أقْتُلَ)، (أسْتُضعِفَ). وعبارته: (واعلم أن الألف الموصولة... في الابتداء مكسورة أبدا، إلا أن يكون الحرف الثالث مضموما فتضمّها وذلك قولك: (أقْتُل)، و(أسْتُضعِفَ)، و(أخْتُبِر)، و(أحْرُنجِم)، وذلك أنك قرّبت الألف من المضموم إذ لم يكن بينها إلا ساكن فكرهوا كسرة بعدها ضمة فأرادوا ان يكون العمل من وجه واحد)[11]. ومثله قوله: (قد يكسرون أول الحروف لما بعده من الكسرة... وهي لغة جيدة، وذلك قول بعضهم: (ذِدِيٌّ)، و(عِصِيُّ)، و(جِثِيٌّ) ويلاحظ ان سيبويه يفسر الميل إلى الاتباع من الاقتصاد في الجهد. وعبارته: (وأرادوا أن يكون العمل من وجهٍ واحد)[12]. وقد أثبتت التجارب الصوتية الحديثة أن (الناطق حين يقتصد في الجهد العضوي يميل دون شعور منه أو يعتمد إلى الانسجام بين حركات الكلمات)[13]. ويتضح من الأمثلة التي يذكرها سيبويه في كتابه، ان اكثر اللهجات نزوعا إلى الاتباع هي لهجة تميم)[14].

مما يؤكد قوة الإتباع عندهم ، لأسباب تتعلق بطريقة الأداء، إذ (أن التميميين كانوا يميلون إلى السرعة في النطق فكان أن تأثرت الأصوات عندهم بعضها بالبعض الآخر)[15]. و اللهجات ذوات الأداء السريع تجنح بوجه عام (إلى الاتباع ومجانسة الأصوات كيلا يثقل عليها الانتقال من موضع إلى موضع آخر بعيد)[16]. وذلك ان النطق يفر من توالي اصوات مدّ متنافرة فيعمد اللسان إلى التسوية بينهما[17] ليكون العمل من وجهٍ واحد.

<u>خلاصة تقويمية</u> :

لقد تبين من خلال عرض منهج سيبويه في دراسة الأصوات اللغوية أنه في عموم منهج وصفه قائم على الملاحظات الواقعية البعيدة عن الآراء الفرضية، وبدأ بوصف الأصوات وصفا دقيقا من الحلق إلى الشفتين وبين مخارجها على نحو يقترب كثيرا من الوصف العملي الحديث معتمدا في ذلك على كيفية نطق الأصوات، وملاحظة خروجها بواسطة أعضاء النطق، واستند في بيان صفات الأصوات الى الأثر السمعي الذي يتركه الصوت. وذلك بأن وصف الصوت يقوم على أساس النطق والسمع، أي ملاحظة تكوّن الصوت بواسطة

---

٣ ـ المصدر نفسه : ٤ / ١٢٨ .
٤ ـ المصدر نفسه : ٤ / ١٢٩ .
٥ ـ المصدر نفسه : ٤ / ٢٤٢ .
٦ ـ العلامة الإعرابية : ٣٤٥ .
٧ ـ ينظر : الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري : ١١٩ .
١ ـ ينظر : في اللهجات : ١٩٧ .
٢ ـ قد يستعمل مصطلح (التسوية) للدلالة على الاتباع. ينظر: الكتاب: ١٧٧/٤، ١٧٨ .
٣ ـ الكتاب : ١ / ٤٣٦ .
٤ ـ المصدر نفسه : ٤ / ١٩٥ .
٥ ـ المصدر نفسه : ٤ /١٠٩ .
٦ ـ المصدر نفسه : ٤ / ١٤٦ .
١ ـ الكتاب : ٤ / ٣٨٤ ـ ٣٨٥ .
٢ ـ في اللهجات العربية : ٩٧ .
٣ ـ الكتاب : ٤ / ١٧٧ .
٤ ـ لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة : ٢٢٤ .
٥ ـ في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات الند العربي: ١٨٣ .
٦ ـ ينظر : الكتاب : ٤ / ١٧٨ .

أعضاء النطق، وإطلاق الآراء الموضوعية للسمع، وهو منهج وصفي[١]. وهو على الرغم من افتقار عصره إلى الوسائل العملية التي تعينه على تحديد وظيفة الوترين الصوتيين يعد تعريفه للأصوات المجهورة والأصوات المهموسة مقبولا لأنه (يعتمد ملاحظة طبيعة جريان الهواء في القناة الصوتية)[٢]. والصفات الصوتية التي دوّنها سيبويه جاءت متفقة مع طبيعة سماعه للصوت في عصره والمنهج العلمي الحديث يقرر (ان وظيفة اللغوي تكمن في وصف اللغة وفحص ظواهرها)[٣]، وهو ما يسيغ على منهجه صفة الواقعية. وأما منهجه الذي اتبعه في دراسة التشكيل الصوتي، أي التعاملات الصوتية في اثناء السياق وما يؤول إليه من تآلف أو تنافر بين الأصوات التي تتمخض عنها التغييرات الصوتية، فقد أكّد الدرس الصوتي الحديث ما ذهب إليه في كثير منها، إذ دوّن آراءه الواقعية في تأثير الصوت الأقوى في الصوت الأضعف ورغبة المتكلم في تيسير النطق عن طريق الابتعاد عن التتابعات الصوتية والإشارة إلى قانون السرعة وتأثيره طبيعة نطق أصوات معينة ضمن السياق الصوتي، فهي عموما دراسات وصفية تتفق في كثير من جوانبها مع ما يذهب إليه الدرس الصوتي الحديث[٤].

المصادر :

- القران الكريم .
- أسس علم اللغة، تأليف (ماريو باي)، ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية (١٩٧٣م).
- أصوات اللغة، الدكتور عبد الرحمن أيوب، مطبعة دار التأليف، ط١، (١٩٦٣م).
- الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، دار وهدان للطباعة والنشر، ط٥ ، (١٩٧٩م).
- التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، الدكتور رمضان عبد التواب، مطبعة المدني، ط١، القاهرة (١٩٨٣م).
- الدراسات اللهجية والصوتية عند أبن جني، الدكتور حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد (١٩٨٠م).
- دراسة الصوت اللغوي، الدكتور أحمد مختار عمر، مطابع سجل العرب، ط١، (١٩٧٦م).
- دروس في علم أصوات العربية، تأليف (جان كانتينو)، ترجمة صالح القرماطي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس (١٩٦٦م).
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي، (ت٦٨٦هـ)، تحقيق محمد نور الحسن، دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م).
- الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري، الدكتور صاحب أبو جناح، منشورات دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة (١٩٨٥م).
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، مطبوعات الجامعة، الكويت (١٩٨٤م).
- علم اللغة، الدكتور محمود السعران، دار المعارف بمصر (١٩٦٢م) .
- في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، الدكتور غالب المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد (١٩٨٤م).
- في اللهجات العربية، الدكتور إبراهيم أنيس، ط٢، مطبعة ألباب العرب، (١٩٥٢م).
- كتاب سيبويه، أبو بشر عمو بن عثمان (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي، ط٣، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).
- اللغة والتطور، الدكتور عبد الرحمن أيوب، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الكيلان (١٩٦٩م).
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، وزارة الثقافة والفنون بغداد، (١٩٧٨م).
- مناهج البحث في اللغة، الدكتور تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، (١٩٧٩م).
- المنهج الصوتي للبنية العربية، الدكتور عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة (١٩٨٠م).
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت ٩١١هـ)، عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت (د . ت).
- الدراسات الصوتية في كتاب العين في ضوء علم اللغة الحديث، موفق عليوي خضير، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية(١٩٧٥م).

١ ـ ينظر : علم اللغة (السعران) : ٩٤ ـ ٩٥ .
٢ ـ الدراسات الصوتية في كتاب العين : ١٣٧ .
٣ ـ أسس علم اللغة : ٣٦ .
٤ ـ ينظر : الأصوات اللغوية : ٢٠٤ .